

المختار من نصوص زياد: ناثر الضحكات والكلمات والنغمات (١)



زياد
الرحباني

صائد التحولات والانكسارات (٢)

أنظر وأسمع

(١) أنا أجمع عن الوجوه الضحكات/عن وجوه الفلاحين/عن وجوه الرهبان الطاعنين في السن/عن أفواه الأولاد/عن وجوه المنتصرين./ومهما اشتدت حروب/ألا تبدر ضحكة عن وجه/ من حشودٍ تجمعتُ رسمياً؟/اليس في كل ثانيةٍ من الحياة/إنسانٌ يضحك؟/إذاً في الأرض ضحكٌ متواصل (صديقي الله، ١٩٦٧ - ١٩٦٨).

(٢) أقرأ سماع الناس. أعيش معهم. أستفيد من أحاديثهم

(مقابلة مع زياد الرحباني، النهار العربي والدولي، ٧ - ١٣/٢/١٩٨٣)

(٣) وقتي مش إلي. وقتي للسمع

(منو إلا موسيقى، ١٩٨٩)

زياد: وهلق نحنا عشايير؟

جان: ايه، طبعاً.

زياد: ما بعلمي نحنا قبايل.

جان: ايه، مخلطين بين عشايير وقبايل. شو كلنا قبايل؟ فيه هيك وفيه هيك.

(بعدنا طيبين... قول الله، ١٩٧٦)

تفاصيل

زياد: مش ملاحظ يا زلي إنو أوقات بيعلقوا على شغلات زغيرة ما إلها طعمة؟ وبيصيروا يتناقشوا بتفاصيل مش مهمة، وبيماطلوا بالوقت وهالعالم عم بتموت؟!

جان: شغلات مثل شو يعني؟

زياد: شغلات كثيرة. «التعريب» مثلاً. علقوا عا كلمة «تعريب». إنو شو يابا، منعرّب قضية لبنان أو منعرّب لبنان؟ إنو شو هالشغلة اللي هالقد مهمة، مش فهمان أنا!

جان: ايه طبعاً في فرق كبير بين إنك تعرّب قضية لبنان، وبين إنك تعرّب لبنان بحدّ ذاتو. فيك تعرّض قضية لبنان عالجامعة العربية، مش ضروري أبدأ تعرّب لبنان. لا، هيدي شغلة ضرورية.

زياد: ضرورية؟

جان: أكيد!

زياد: طيب، و«التدويل»؟ عملو عليه، عالتدويل، نفس القصة: مندول قضية لبنان، ولأ مندول لبنان؟ وقعدوا يماطلوا فيها عالفاضي.

جان: ايه طبعاً، فرق شاسع. فيك تدول القضية بدون ما تدول لبنان. تدويل لبنان شغلة خطيرة كثير. إنما فيك تدول القضية، بتضل نوعاً ما أهون. لا، في فرق.

زياد: إنو هالقد الفرق كبير؟

جان: معلوم!

زياد: طيب، و«العلمنة» ياسيدي؟ قعدوا يتشارعوا عاللمنة. إنو العلمنة يعني من «علمانية» أو من «علمية»؟ شو إلها لزوم كل هالشريعة؟ العلمنة هي العلمنة. شو نحنا بدنا الكلمة، ولأ بدنا العلمنة؟

عشايير أو قبايل؟

زياد: هلق وقت يقولو «عودة الهدوء الى الربوع اللبنانية»، شو بيقصدا؟ شو «الربوع» يعني؟

جان شمعون: «يا ربوع بلادي»، ولو. ولو مش سامع ب «الربوع»؟

زياد: بسمع فيها كثير، بس ولا مرة فكّرت شو معناتها عالزبوط يعني!

جان: هي معناتها، أول شي، ربوع من «رّبع» بالمفرد، و«ربوع» بالجمع. والربع يعني العشيرة، والربوع هي العشايير بالجمع، يعني قرطة عشايير. وبس يقولو «عودة الهدوء الى الربوع اللبنانية»، يعني بيقصدا عودة الهدوء الى العشايير اللبنانية.

١ - تشمل هذه المختارات، التي جمعتها أكرم الرئيس خصيصاً لهذا الملف، نصوصاً وفقرات من أعمال زياد الإذاعية وكتابات في جريدتي السفير والأخبار بشكل أساسي، بالإضافة الى مقتطفات من مسرحيتي بخصوص الكرامة والشعب العنيد ولولا فسحة الامل، وكتاب صديقي الله، وأعمال أخرى مرتبطة. ولا تشمل هذه المجموعة أغاني زياد التي قدمنا عينات منها في الجزء الأول من الملف. كما لا تشمل نصوصه المسرحية التي نُشرت في كتب.

جان: ما إذا بدأنا العلمنة، بدأنا نعرف إذا العلمنة جايي من «علمية» أو من «علمانية»، من «لايسيزاسيون» ولأ من «لايسيسم». وهنا المعنى تاريخياً مختلف. وإذا راجعت التاريخ، بتلاقي العلمانية شيء، والعلمية شيء آخر تماماً. زياد: إنو هالقد مهمة هالتفاصيل كلها؟ جان: مهمة جداً طبعاً.

زياد: يا عين، وطيب، وساعة اللي بيتشارعوا إذا «لبنان عربي» ولأ «ذو وجه عربي»، هيدا شو؟ مش طقّ حنك؟

جان: طقّ حنك؟ هيدا طقّ حنك؟ إنت عارف يا إبني قدّيش الفرق كبير بين أن يكون لبنان عربي وبين أن يكون ذو وجه عربي؟ إن كلمة «لبنان عربي» تعني نفساً كاملاً لجميع المفاهيم التي تسود في «لبنان ذي وجه عربي»، إنما تتطلب تبديلاً شاملاً للسياسة الخارجية، وخاصةً بالنسبة لوضع الشرق الأوسط. وإنها نظرة إلى القومية مختلفة تماماً. وعلى ضوء الاختيار ما إذا كان لبنان سيكون عربياً أم ذا وجه عربي، تتحدّد معالم دولة المستقبل كلها. ولا يجوز أبداً التشبيه والخلط بين الكلمتين.

زياد: ليك، بدّي اسألك سؤال.

جان: نعم!

زياد: هلّق يعني المهم من هالشغلة كلها سوا، نحنا شو هلّق؟ خربونا ولأ خربولنا بيتنا؟ جان: هنا يجوز الوجهان! (بعدنا طيبين... قول الله، ١٩٧٦)

مجتمع الاستهلاك

جان: ليك، هلّق ساعة اللي بيقلو إنو هيدا هالمجتمع «مجتمع استهلاك»، شو بيقدوا؟ زياد: استهلاك من «إستهلك»، أي عمّ يستهلك. يستهلك، فهمت كيف؟

جان: ايه، عم نستهلك. بس كيف يعني؟ شو عم نستهلك؟

زياد: مجتمع الاستهلاك يعني استهلاك كل شيء. بيصير في عندك بمجتمع الاستهلاك مثلاً مُستهلك ومُستهلك. وفي عندك بضاعة الاستهلاك. وهالبضاعة، مش ضروري تكون بضاعة. يجوز تكون أشخاص وناس.

جان: كيف يعني البضاعة «مش ضروري تكون بضاعة»، مش فهمان قللي؟ زياد: خليكّ معي بتفهم.

....

جان: هلّق نحنا مجتمعنا مجتمع استهلاك، مش هيك؟

زياد: طبعاً! يخرب بيتك، شو صرلنا نص ساعة عم نحكي؟ نحنا مجتمعنا مجتمع استهلاك ومتطوّر. وأكثر من اللي حكيناها والله، نحنا مجتمعنا تطوّر، وصار بمراحل من الاستهلاك مهمة وخطيرة. نحنا مجتمعنا صار يستهلك عالم وشهداء وأبرياء وولاد بكمية. صار يستهلك قذايف وصواريخ وخرطوش بشكل فظيع. صار يستهلك بنايات وطوابق وشوارع. صار يستهلك اتفاقات وقف إطلاق نار. صار يستهلك لجان. كميات لجان. بتديّلوا بهاللجان وهويّ يستهلك. بتديّلوا بهاللجان وعمّ يستهلك. وما فيك تلحقو. صار عم يستهلكنا ومش عم فينا نلحقو. انجق نلحق حالنا. شفت شو آخرتو مجتمع الاستهلاك يا إستان. هلكننا! وبعدين...

جان (مقاطعاً): حاجي تحكي، هلكتني ولوه!

(مقطع، بعدنا طيبين... قول الله، ١٩٧٦)

النظام

(١)

سلمي: لتعمل ثورة عالنظام، لازم أول شيء يكون في نظام.

عبّاس: لتعمل ثورة عالنظام، لازم ثاني شيء يكون في نظام.

كارمن: لتعمل ثورة عالنظام، لازم ثالث شيء يكون في نظام.

المجموعة (بتناوب): لتعمل ثورة عالنظام، لازم أول عا آخر يكون في نظام.

سلمي: حايالاً نظام، بس نظام، شي نظام.

زياد: أيّاً نظام، يال أو سيكام، بس معروف ربو إنو معيّن هالنظام.

كارمن: ليك، إذا عملت ثورة عا شيء مش موجود، كيف بتتبط معك؟ ما مافي نظام، كيف عملت ثورة عليه؟ أيّاً ساعة عملتها؟ وين كنت؟ أنا ما شفتك؟

عبّاس: أول ثورة بدأنا تصير من أجل النظام. ثاني ثورة لتغيّر النظام. يخلي عيّنك.

زياد: الله يرضى عنك يا حبيبي.

(٢)

كارمن: أنا ما عم جرب غير شيء، وبسحب كلّ اللي قلتو.

عبّاس: أنا عم جرب غير البلد؟ يا عيب الشوم، شو هالحكي!

زياد: أنا ما عم جرب غير البلد، ولا عم جرب غير شيء! أنا عم جرب بس ما خلي هالبلد يغيرني. هيدي وحدا إذا بتتبط معي، يعني إنتصار. إنتصار لنفسي أولاً، وبعدين عا شو ما بدك: عالرجعية، وعالإمبريالية، وعالإقطاعية، وعالقوى المعادية للتطوّر والتقدم والحريّة.

سلمي: هيدي البلاد هيّ اللي بتغير، وما حدا بغيرها.

عبّاس: وإذا الجماهير نفذت بريشها، بتتحسنّ العيشة.

كارمن: بتصبح أحلى عيشة.

زيد والمجموعة (غناء): نفذت بريشها، يحرق حريشها!
(العقل زينة، ١٩٨٧)

مقدمة لولا فسحة الامل

اكتشفت، وبعد مرور سنين عديدة، أنني بالأساس فلاح شمالي رئيسي. وتأكدت أن أصل عائلتنا فعلاً «رحبة» في العكار. الناس في الشمال أنشف دوماً من الناس في الجنوب.

المدينة، وأحبها كثيراً، لم تستطع أن تعدل أطباعي الفلاحية، لا أطباعي ولا المبادئ، وأخرها مبادئ الكتابة المسرحية.

لم أقرأ المسرح إلا في المدرسة، وقد أُجبرت حينها على ذلك. وأذكر تماماً أنني أحببت الكاتب المسرحي مارسيل پانيول؛ شعرت كأنه كان يستعمل مسجلة سريّة ليسجل حديث الناس.

يبدو أنه لوفرة ما في داخلي من الريف، لا أشعر أبداً بالرغبة في الذهاب إليه. ومعجب جداً بالتكنولوجيا وأشكال الأرقام.

تستمر الأشياء «لولا فسحة الأمل». وفسحة الأمل موجودة في الطابق العلوي شمال المسرح. في «سنتر الأمل» حيث الإعلانات والماركات، ومساحاتها الإجمالية أحد عشر متراً تقريباً. وكل ذلك لسوء الحظ العام.

(كاتالوغ المسرحية، ١٩٩٤)

كلمات لحالة واحدة

نحن أقرب شي لشي فظيع، بس وين؟

شي فظيع، بس مش مين ما كان!

نحن مختلفين حتى عالأسباب للي وصلتنا لهاالحالة.

كل واحد منا يفسرها شي، وبدك تسمعلو، ولأ ما بيكون في مشاركة. وطالبين طاولة مستديرة لهاالأفكار، وما حدا هامتو النتيجة وإتو قاعد مش بمحلّو. ما حدا منتبه إنو ما عاد حدا قاعد بمحلّو، ومش هيذا المهم. هيذا مش مهم!

لأ، المهم كيف لصارت، وشو «الأسباب» و«الأبعاد»، شو «المسببات» و«الخلفيات»؟... ليك هالكلمات! شو «التوجهات الكامنة» - إنتبه - وراء «الممارسات والوقائع»؟ ليك هالروائع بأدب اللغة.

لأ، نحنا هاممنا شو «المخلفات»، شو «الذبول»، شو «الحيثيات» و«المؤثرات»، وشو «المعطيات» و«الحوافز»، شو «التفاعلات» و«الرواسب» و«الترسبات»، وشو «الآفاق السياسية» و«المدى المنظور» و«القريب العاجل» و«الإمكانيات المتاحة» و«التطورات» - قول هيدي شعبية صارت «التطورات».

في «التقلبات»، وينك رايح ب «الخطوات على ضوء معلومات إجتنا» و«النشاطات» و«الآليات» - هولي ل «التحركات» - وكلها «بدها تادي إتصالات ومشاورات ولحصّلات وتسويات» - طبعاً - ول «مساومات وإجراءات». شو فكرك إنت؟

كلياتو هيذا بحسب «سلم أولويات»... يعني شي فظيع، يعني لهلق عنّا هالكلمة نستعملها وبعد ما طلع غيرها... شي فظيع. وكل هولي الكلمات - إنتبه مع انو لا بينضهر ولا بينفات - كلن هولي لحالة واحدة، ومشتركة بيناتنا كلنا سوا، وحالة خرائية. اسمها خرائية، عالإذاعات بدو يضل اسمها هوي ذاتو: حالة خرائية، خرائية - بالضمه - أبلغ هيك! وهالحالة، تصوّر، مش قادرة توحدنا ولا لحظة. ومن شان هيك عنّا مواقف، وهيذا شي إلو علاقة بالحدودية، والتيسنة لأنو هاي إلهها علاقة بلبنان الكرامة والشعب العنيد.

موصوف!

(تابع شي تابع لشي، ١٩٩٠)

أكل ومصاري

(١)

AKO: حضرة الطابط، ببيقوا يحكوا عن شي منو أكل والكلمات متلينها أكل.

الطابط: شو ضايرك إنتي بهالقصة؟

AKO: هلق ساعة للي بيقلك «بدك تبلعهن»، «ولنلحس إصبعنا»، و«قاعد عم بيزفر» (زفرة ومنو بالمطبخ لنقول)، «طنجرة ولقت غاها» (شو فيها الطنجرة؟!)، AKO/ «حدا بيحبيج الدب عاكروم؟» شو بيعمل؟ «ببهفيلو ياه!» (وليك ما تفقسو!) «شو هاي تفقسو؟ بيضة يعني! شايفو بيضة!» «أعط خبرك للخباز ولو أكل نصو!» وعم بيحكي عن ميكانيسيان ببيقى بس راسو بالأكل /AKO/ ومشاريعو كلها «مسلوقة سلق». اتفضل!

(مقطع من حوار أكو و الضابط، مسرحية لولا فسحة الأمل، ١٩٩٤)

(٢)

مصاري: لاي سيدنا؟ كل حديث في مصاري، حتى هني وعم يحكوا شي ما دخلو بالمصاري، في كلمات كلها مصاري.

الضابط: وإذا، إنت ما تتعاطى مع حدا وحاج تقول «مصاري».

مصاري: ولك يا عمي، شو طالعلي منك؟ شاريهن للجماعة؟ بيعها! بيعوا! إقطعوا! بضهر البيعة. بالجملة، طول بلا غلة! شو دخل الطول بالغلة؟ مصاري! كل الحديث يا ملايكة، مش قابضني جد. قبضو إيها. حاكاني سلف. بيسلف هم. بيحكي بالتقسيم. خود وأعط الغالي بيرخصلك! إنت غالي وطلبت رخيص، شو هادا؟ مصاري!

شو بدك تكلفني؟ بيروحو فرق عملة. ما بيسوى فرنك. رادو فراطة. ليك هالكلمات؟! غالي عاقلبي قال، مين؟! الله يُوفيك تعبك. خدلك! شو بدو يوفي، وين؟ مصاري!

(مقطع من حوار شخصية مصاري والضابط، مسرحية بخصوص الكرامة والشعب العنيد، ١٩٩٣)

موت

قد ما تخترعوا كلمات للتعبير عن قوة صاروخ الغراد، بيضلو صاروخ الغراد أقوى. قد ما تثبتوا افتتاحيات بالجراید وموسيقى وشعر عبكرة الصبح بالإذاعة عن «هول الفاجعة»، هول الفاجعة أكبر. وقد ما تخترعوا كلمات عن قوة الموت، بعدا أقوى وأحلى وأصدق كلمة: الله يرحموا!

(العقل زينة، ١٩٨٧ - ١٩٩٠)

حب

(١) بتضلاً عم بتحاول تفهمو قديش بتحبو. بتقلو: «بحبك» أو: «كثير بحبك» أو إذا عسرت: «ريتك تقبرني». بردو بتحسها مش كافية. آخر شي بتطلع معها: «أنا بموت فيك»، وهيدا الماكسيموم، يعني... راحت البنات! رغم هيك، بتحس إنها بعد بتحبو أكثر ما الكلام يساعد... فبتجي الموسيقى، عم تحاول تفرجيه قديش...

(كونسرت بهالشكل، ١٩٨٦)

(٢) ما فيش كلام/بيعبّر تمام/الإلا الكلام:/خلص، يعني خالص!

(مقطع، أغنية «خلص»، هدوء نسبي، ١٩٨٥)

معجم إلكتروني

ماجد بو عيسى: أنا مجمعلكم كلام كل الوقت بتستعملو بيعني نهاركن. وأنا بعنقد هالكلام ما بقى فينا نستعملو إذا بدنا نستمرّ وما ننقرض. وأنا بعنقد إنو نحنا بهاالكلام عم نستجلب قوة الشرّ للي بدأ تفتح الأرض وتمحينا عن الخريطة. ما بدّي ياكّن تصدقوني لإلي، وهيدا إحساسي. رح دخل كل هالكلمات قدماكن، لتكونوا إنتو شهود عالسؤال وعالجواب. أنا مرة سألتو: شو يعني «لا والله ما بقبل»؟ جاوبني: «بتمنى»

القاعدة: صحيح، يقولوا «لا والله ما بقبل»، وبيكون ميّتين قد ما قبلانين.

ماجد بو عيسى: العنوان: كرامة، نشامة، شهامة، تراثه.

ماجد بو عيسى: بزعل بشرفي.

الكمبيوتر: بعيد والله.

ماجد بو عيسى: ولا يمكن.

الكمبيوتر: يمكن ٥, ٠.

الضابط: ٥, ٠.

ماجد بو عيسى: ايه هيدي يعني «يُمكن ونص».

ماجد بو عيسى: ميّلو.

الكمبيوتر: إخت اللي بيطلع.

ماجد بو عيسى: يللا جايي.

الكمبيوتر: يللا رايح.

ماجد بو عيسى: منّي وعليّ.

الكمبيوتر: Error, Error

اليأس: شو يعني Error؟

ماجد بو عيسى: بتطلع هيدي ال Error يعني في شي غلط بالحكي، أو شي ما إلو معنى.

اليأس: شو الغلط؟ منّي وعليّ، شو فيها غلط؟

ماجد بو عيسى: شو يعني منّي وعليّ؟

اليأس: إنو منّي وعليّ.

ماجد بو عيسى: ما شرحت شي...بتستعملها بلا وعي هيدا ال Error.

(...)

ماجد بو عيسى: عيوني أنتي.

الكمبيوتر: العمى بعيونك.

ماجد بو عيسى: معنات الحكي.

الكمبيوتر: Error, Error, Error

ماجد بو عيسى: من فجّ وعميق.

الكمبيوتر: No translation

مصاري: شو يعني «لايشن»؟

ماجد بو عيسى: No translation ... هيدي كلمات ما إلها ترجمة عالمياً.

موجودة بس عند الشعب العنيد.

ماجد بو عيسى: مش بيناتنا.

الكمبيوتر: وينّي؟

ماجد بو عيسى: وين الدولة؟ ما في دولة.

الكمبيوتر: كما تكونوا يوّلي عليكم.

(...)

ماجد بو عيسى: ما في نسبة.

الكمبيوتر: في نسبة كبيرة.

- ماجد بو عيسى: ما اختلفنا .
الكومبيوتر: اتقبرنا .
- ماجد بو عيسى: بتمون .
الكومبيوتر: بتموتي .
- البايس: شو يعني بتموني؟
ماجد بو عيسى: المونة يعني: برغل، عدس، كشك، قورما، زعتر، ولآخر المونة .
- مصاري: شو هالحكي؟
القاعدة: كتير مزبوط، كفي .
- ماجد بو عيسى: ...إخت الكاذب .
الكومبيوتر: إختي .
- ماجد بو عيسى: إنت عارف مع مين عم تحكي؟
الكومبيوتر: No Translation
- ماجد بو عيسى: ما في شي بيمشي بالقوة بلبنان .
الكومبيوتر: من هيك ما في شي رح يمشي .
- الضابط: طبعا، طبعا .
ماجد بو عيسى: كزا مزا .
- الكومبيوتر: سلطة برازيلية أو بوليفية .
ماجد بو عيسى: جنوطه عراض .
- الكومبيوتر: يوسف بيك كرم .
ماجد بو عيسى: مين هالحمار للي مساويلك ياها؟
- الكومبيوتر: عم تشتغل مع معلّم غيري .
ماجد بو عيسى: معلّم .
- الكومبيوتر: حمار .
ماجد بو عيسى: بلا معلمية .
- الكومبيوتر: يا حمار .
ماجد بو عيسى: مش مشكلة .
- الكومبيوتر: كارثة مش مشكلة .
ماجد بو عيسى: مش ناسيك .
- الكومبيوتر: إخت اللي فايق عا شي وشو .
ماجد بو عيسى: ما تخاف منا .
- الكومبيوتر: هيتشكوك عندك الليلة .
ماجد بو عيسى: هات ، ١٠٠٠ .
- الكومبيوتر: هات ، ٣٠٠ .
ماجد بو عيسى: إنتا كريم ونحن منتساهل .
- الكومبيوتر: No translation
- ماجد بو عيسى: أكيد مليون بالمية .
الكومبيوتر: مثل ما الله بيريد .
- ماجد بو عيسى: مثل ما الله بيريد .
الكومبيوتر: No
- ماجد بو عيسى: إنت الصادق .
الكومبيوتر: إنت الكاذب .
- ماجد بو عيسى: خليها للاثنين .
الكومبيوتر: نهار الجمعة الجاي .
- ماجد بو عيسى: نهار الجمعة الجاي .
الكومبيوتر: خليها للاثنين .
- ماجد بو عيسى: شي جديد مميز غير شكل .
الكومبيوتر: أي هوي الشكل .
- ماجد بو عيسى: حسنة .
الكومبيوتر: مرتو لحسن .
- مصاري: وك، أعود بالله، هيدي حسنه لوجه الله بيقولوها .
ماجد بو عيسى: حسناً، حسنه مرتو لحسن لوجه الله .
- ماجد بو عيسى: مهن حرّة .
الكومبيوتر: كزلكون .
- القاعدة: شو يعني كزلكون؟
ماجد بو عيسى: يعني مهن حرّة .

(مقطع من الفصل الآخر، بخصوص الكرامة والشعب العنيد، ١٩٩٣)

هوي وهوي

- (١)
ليش إذا الوحدة إختو للواحد، هوي بتقوم بتعمل قهوة؟
وإذا الوحدة مش إختو ولا نتفه للواحد، هوي بيقوم بيعمل القهوة؟
معكن سنة لتجاوبوا... إذا إلكن عين تجاوبوا .
- (٢)
الأول: خبرني، شو وضعك عالمزبوط إنت وهالمرة؟
الثاني: خيي شو بعرفني يا خيي، شو دين ربها لهالمرة، ما عم بعرف. هي نفسيها... نفسية جوات نفسية جوات نفسية، ما معقول، مثل الخسة، الله وكيلك .
- (٣)
بتغلط معي قدام الناس، وبتعتذر بس نصير لوحدا. يا ريتك بتعتذرلي قدامن لهالناس، والله ما رخ يصرك شي، وشوراك ما رح يهرو. وبعدين، بيني وبينك، غلاط قدامك .
- (العقل زينة، ١٩٨٧-١٩٩٠)

(٤)

هوئي: قلتيلي حبيتك لأنك زعلان بتضل/وبتضل
منكود/صاير هالحديث؟

هيي: صار.

هوئي: قلتيلي حبيتك لأنك غير شي بتكون/ولأنك
أخوت/صاير هالحديث؟

هيي: صار.

هوئي: وعديتني تركتيني، لأنني زعلان بضل، وبضل
منكود، ولأني أخوت، صار ولأ ما صار؟

هيي: صار.

هوئي: ياعمي أنا ما «تغيرنا» إنت اللي «تغيرنا»/
تغيرنا ما تغيرنا

(...)

(مقطع، أغنية «قلتيلي»، بما إنو، ١٩٩٥)

التاريخ

ما في شي بيتسجل بالتاريخ إسمو «كنت
ريحت»، مع إنو «كنت» بتعطي عا ماضي،
والتاريخ هوئي كمان هيك بتحسو بيعني الماضي.
بس ما مستعد التاريخ يسجل «كنت ريحت».
بالتاريخ، في «ريحت» أو «ما ريحت»، أي
«خسرت». أمّا: «كنت ريحت» أو «عا شوي كنت
ريحت»، «قشطت حدّي كنت رحت»، «يعني لو
أوصل قبل بتكّ كنت متت»، «هيدا كلو طقّ حنك.
انتبهت! هيدي «كنت ريحت»، «كنت متت»، «هيدي
بتحكيا شخصي لأصحابك، وصدقني بينسوها
كمان. فما بقى تبعث شي من هالنوع لينشرك
ياه التاريخ. التاريخ مش جريده لبنانية، ولا إذاعة
عربية. فهمت؟! التاريخ سيخ.

خليك يا حبي، شو بدك. خليك بأخبارك بإطار
أصحابك.

وعا فكرة، يقبر أصحابك.

(العقل زينة، ١٩٨٧ - ١٩٩٠)

هكذا يكون العمل!

تستطيع أن تتفهم يابانياً أو ماليزياً يطالب
بتخفيض ساعات العمل. تستطيع أن تستوعب
كورياً أو تايوانياً يصاب بالإرهاق. تستطيع أن
توافق ألمانياً أو حتى فرنسياً يتظاهر ويضرب
لعدم المس بتعويض نهاية الخدمة. لكن هلاً

فسرت لي كيف، ومنذ متى، ودون أن يدري أحد، أصبح اللبناني يرفض أن
يعمل نهار السبت؟ إلام استند حتى ضاقت به الدنيا و«عزت» بعد ظهر يوم
الجمعة، ومنذ ردهة من الزمن انتقل هذا الضيق إلى عصر يوم الخميس؟
إن من يسمعنا نصر على عدم العمل يوم السبت يظن للوهلة الأولى أن
مدينة تورينو ومعامل الفيات - فيراري تقع في شرق بيروت على أطراف
المدينة الصناعية وتصوت لميشال المر. إن من يسمعنا يظن للوهلة الثانية أن
معدل النمو عندنا يهدد اقتصاديات العالم العربي، وأولها الاقتصاد
السوري والصناعة المصرية. إن منطقة الشويفات - الحدث هي بالفعل أكثر
إنتاجية من ليون وتولوز مجتمعين، لذا فإن بيروت الإدارية مخصصة بأعلى
تغذية كهربائية، وهذا بديهي: فهي أهم من يوكوهاما في اليابان، والأصح
أنها أوزاكا الشرق. تعرفها من عدد السيارات المتوقفة أينما كان فيها؛ فهي
موقف كبير بسبب ضغط العمل.

هل تعرف يا مخايل ماذا يعني أن تمرّ حرب تموز الأسطورية دون تأثير يُذكر
على الليرة اللبنانية؟ هذا يعني أننا لم نكن نعمل. صحيح أن رياض سلامة
شخصية اقتصادية عالمية، وقد كُرمت بجائزة، ولكن هذا جزء يسير من
«السر»... نحن «السر»! نحن العجيبة!

(مقطع، الأخبار، ٢٠٠٦/١١/٠١)

أشخاص

(١) جوزف صقر (١٩٤٢ - ١٩٩٧)

مات وعطاني عمرو/أنا عمرو شو بدّي فيه/أنا العمر اللّي عليّ/مش عارف
كفيّه!

(السفير، ١٩٩٨/١/٦)

(٢) مارون بغدادي (١٩٥٠ - ١٩٩٣)

كان مارون بغدادي، ومرة أخرى، مصرّاً على أن يأتي إلى بيروت ليصور فيلماً
آخر عن الحرب اللبنانية. وهاجس الفيلم، مرة أخرى، أن يكتشف أو يفسر، في
لبنان، أين الغلط! وكان الغلط قد بدأ بـ «درايزين» غلط، منخفض عن العلو
المتعارف عليه، يلفّ الدرج المؤدّي إلى بيت أهل مارون في الطابق الخامس.
خمسة طوابق من الغلط، يتابع معها الغلط بانقطاع الكهرباء، وبعد
منتصف الليل كي «تتم» ويستشري الغلط بأن يتحمس هذا الإنسان العائد من
باريس في البحث عن الغلط هنا. لقد وقع من هنا ومات.

وتوقّفت العاصمة مرة أخرى بأحد أبنائها الناجحين المتحمسين، الذي أضاف
غلطاً على الغلط...

مصرّة بيروت، وبأشكالنا فيها، على أن تستدعي إليها كل من تبقي من أهلها
أيما كانوا في العالم، ليراجعوا، فـ «ستشهدهم» وتعلمهم كيف يكون الغلط.
ومصرّة بيروت، بأديانها السماوية، على أن يكون ذلك مكتوباً، كما القدر، وعلى
أن يعبر كما الحادث اليومي.

غداً سيقولون: انظروا، من هنا وقع مارون بغدادي!

الله يسامحك يا مارون، الله يرحمك يا مارون.

(السفير، ١٩٩٣/١٢/٦)

(٣) نزار مروّة (١٩٣٠ - ١٩٩٢)

لا أحد في الجمهوريّة اللبنانيّة يفهم بالنقد الموسيقيّ مثل نزار مروّة. يحكي عن الكلمة وعن كلّ نغمة موسيقى، وكيف أنّ نغمة معيّنة «قشطت» من النغمة. وهو يسمّي أيّ نغمة بالتحديد؛ يقول لك: «ضربوا هذه الـ 'فا' طلعتْ زايحة!» الآن في لبنان ما في ناقد موسيقيّ. كان عندنا هالزلي بيّفهم موسيقى، ويعرف كمان يعزف على آلة.

(١٩٩٨)

(٤) جوزف سماحة (١٩٤٩ - ٢٠٠٧)

(...) أرجوكم: لا بكاء، لا رثاء، لا ذكريات، لا مقارنات، لا نوستالجيا، لا قصائد... أرجوكم فكروا جيّداً معنا كيف يُملأ هذا الفراغ الكبير. ولتكن مناسبة، وهي على الأرجح الأخيرة، لتلاقي كلّ الشيوخين أولاً، و«ما يعادلهم» أو يتلاقى معهم اليوم. فليكن من اليوم، فصاعداً، فدوماً، في مواجهة عدوّ عنيدٍ داخليٍّ غيرٍ إسرائيلي. أرجوكم لا تدعوا هذا العدوّ يستقوي لحظةً بغياب «الرفيق سماحة»؛ فبعضُ قاداته سعيدٌ، صدّقوني، لغيابه، وبلغتهم: لاختفائه. إذ هذا يعني اختفاء الإزعاج المشاغب اليوميّ لمشاريعهم، زوال عقبة ذكيّة كاشفةٍ أمام ألغاز أطباعهم وخفايا نيّاتهم (...). العمل كثير. العمل كثيرٌ جداً. فد «إلى العمل». واعتبروا منذ اليوم أنّ عبارة «ما العمل؟» أصبحت مجرد عنوانٍ لهذه الزاوية من الصحيفة.

(مقطع، الأخبار، ٢٠٠٧/٢/٢٨)

(٥) عاصي الرحباني (١٩٢٣ - ١٩٨٦)

قال لي: أرقى موسيقى هي الكلاسيكيّة، حيث الإيقاع تصنعه الأوركسترا بكاملها، لا آلات الإيقاع وحدها. لكنّ، وبرأيي، اكتشفت أنّ أهمّ سيمفونيّة تصبح رتيبةً بعد مرور دقائق معدودة، وذلك عندما يأتي دور التفصيل والتفرّع وحده من «النغمة الأساسيّة» وبدون الإحساس الذي حصل لحظة تأليف «النغمة الأساسيّة». لاحظ أنّ الناس يصفّقون غريزيّاً عندما تعود «النغمة الأساسيّة». قال لي: التوزيع والتفرّع والهارموني كلّها مهمة، يجب أن تدرسها والأ تتكل على المهبة العفويّة فقط، وبعد أن تدرسها ستنتساها وتصبح موجودة لاواعية تماماً كالوهبة العفويّة التي تُنتج «النغمات الأساسيّة». اكتشفت، أنا بعدها، أنّ عفويّة

الموسيقين الذين سبقونا تاريخياً حدثتْ كعلم مفاجئٍ علّمنا إيّاه الأستاذة لاحقاً على أنه «القواعد».

قال لي: يوجد فرق نغمة واحدة، قبل أو بعد، صعوداً أو نزولاً، بين الأغنية السخيفة والأغنية البسيطة. الأغنية البسيطة هي الأغنية الشعبيّة، والشعبية هي أرقى صفات الموسيقى، لا النخبويّة. يمكن الأغنية السخيفة أن تكون شعبية لفترة قد تطول، ولكنّ الوقت يصفّي البسيط من السخيف، فيبقى ما لا يموت.

(مقطع، كاتالوغ أسطوانة إلى عاصي، ١٩٩٥)

الحمد لله (١٩٨٦ + ١٩٩٨ = ٣٩٨٤ = يوم الحشر ميلادياً بحسب العهد القديم)

دايفيد رايش: الحمد لله ما بقي عنّا شيء. لا بقي في موسيقى نألّفها، ولا قصيدة ننظّمها، ولا موقف ناخذو، ولا بلد من نوع إنو يعني تتمسك فيه بدون ما تفتّسو.

ولا عمي! ما دام نظمنا بيت شعر، إجوا مهجّرين قعدوا فيه. قلناهن هيدا نظم يا جماعة. قال لأ هيدا مصادر. أخذنا موقف، ما بقي سيّارة ما إجت صفّت فيه. أيّا فيه! صفّت عليه والله. ويا ريت كلّها سيّارات مش للّي نزلوا منا.

إقتنعنا بإنسان، صار إنسانة. مدرّي شو صارلو؟! عميل جراحة يمكن، نقص هُرمون، أنا بعرف؟! ما بتعبق، طيب؟ عبقنا، طليّنا عاهالبلكون، قشط البلكون، إجا عالطريق، والله ستر ما كان مارق حدا من هالعباد، يعني بين المزح والجدّ كان صار مجزرة جديدة.

قمنا نقصنا تيابنا. جمعنا هالبلكون عالرصيف، وقلنا: «ما رخ نستسلم، بدنا نكفي الطريق». سكرّوها عن راس الشارع. ليه؟ قال: «في تشييع».

تشييع عال، لأ/ «شيلو» و.../ ومش بس هيك، «شيلو هالسيّارات كلّها الصافّة عالميلتين، وشيلو البلكون كمان». سألنا: «أيّا ساعة بيخلص التشييع؟ لأنو بدنا نكفي الطريق نحنا». قال: «التشييع ما رخ يخلص بقي. خلص مشي عاطول، لأنو اليوم بدو يموت غيرو. وبكرا، باذن الله، كمان رخ بدو يموت غيرو».

رجعنا رديّنا طلعنا البيت. دقينا، ما كان يفتحوا المهجّرين. نسيتهن أنا. آخ!! حملنا حالنا وقلنا يلا عالطار. طار قبل ما وصلنا! فتنا عالبريّة، سألنا: «الطار الجاي، أيّا ساعة بيطيّر؟» قالولنا: «هيّداك ما بيعط أساساً، طائر كلّ الوقت».

منيح هيك؟ هيك إنت محليّ، أنا عم بعرضك قصّتي، إنت محليّ، شو بتعمل؟

هاي إلنا ١١ سنة منروح ومنجي وبعدها بنفس المحلّ.

عبّاس: إي ما عليه، بكرا بيفجّرولك ياه.

(مقطع، العقل زينة ١٩٨٧ وجريدة السفير، ١٩٩٨/٢/٢٠)

.... (وأخيراً)

كنت أوّد أن أكمل المقال، لأكشف باقي الأبعاد.

لكنّ الوقت يُدهمنا، والصحيفة قد جهّزت،

وها قد تمّ إبعادي.

يتّبع ليس غداً، بل في باقي الأعداد.

(الأخبار، ٧٠٠٢ / ٥/٤١)